**مداخل تنمية أبعاد الأمن الثقافي لدي الأطفال**

**إعداد**

**أ.د / محمد الأصمعي محروس سليم**

**أستاذ متفرغ بكلية التربية – جامعة سوهاج**

***الأمن الثقافي ضرورة للحفاظ على مستويات الثقافة في أبعادها ومجالاتها ومظاهرها المتعددة، والوقوف ضد التيارات الهدامة التي تؤدى إلى تذبذب الأفكار، وإعاقة عملية التنمية في المجتمع المصري. فالفرد لابد أن يتسلح بخصائص ومهارات معينة تعينه على التعايش الايجابي مع تحديات القرن الحادي والعشرين، منها أن يكون الفرد واعياً بحضارته، وقادراً على النظرة الموضوعية تجاه الثقافات الأخرى، وأن يكون قادراً على الجمع بين الأصالة والمعاصرة متمسكاً بهويته، معتزاً بثقافته، وأن يعمل على تنميتها وتطويرها،ويكون قادراً على توجيه اهتماماته نحو المشكلات التي تواجهه .* فما زالت الأمة العربية في الألفية الثالثة تواجه تحديات متنوعة ومتداخلة، تقف وراء المشكلات والكوارث التي لحقت بها، فهذه التحديات لا تعوق تقدم العالم العربي فحسب، وإنما تُؤثر على أمنه واستقراره،وتهدد كيانه ووجوده، وتجعله عرضة للتبعية والهيمنة الثقافية في ظل العولمة الجديدة، لذا كان على التربية أنْ تواجه هذه المشكلة برسم إستراتيجيتها التربوية المستقبلية بما يتلاءم مع أصالتها العريقة وقيمها وتطلعاتها التنموية في القرن الحادي والعشرين.**

***وتتناول هذه المقالة مفهوم الأمن الثقافي وأهميته ومقوماته الأساسية، والمتمثلة في الدين واللغة والتراث والذاتية الثقافية والانتماء والمواطنة، وأهم العوامل الخارجية التي تهدد الأمن الثقافي لدي الأطفال والمتمثلة في العولمة، والتغريب الثقافي، والثورة التكنولوجية والمعلوماتية، والبث المباشر، والإنترنت، والتبعية في التعليم، إلي جانب العوامل الداخلية والمتمثلة في التفكك الأسرى والمشكلة السكانية والبطالة والأمية والهجرة الداخلية، فكل هذه العوامل تُؤثر وتهدد الأمن الثقافي لدى الأطفال.***

***ويمر المجتمع العربي مثل غيره من المجتمعات الإنسانية الأخرى بمرحلة التحولات السريعة والمتلاحقة التي شملت مختلف أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية في ظل النظام العالمي الجديد، مما يتطلب التعامل مع هذه التحولات المجتمعية الأخذ بسياسات وتدابير تساعد المجتمع المصري على المواءمة والتكيف مع النظام العالمي الجديد من جهة، وبين قدرة الأفراد في المجتمع المصري على استيعاب التغير وخاصة التغيرات الثقافية من جهة أخرى.***

**وقد فرضت المتغيرات العالمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتنموية في عصر العولمة تحديات كثيرة على مختلف الأنظمة التعليمية، مما يستلزم التعامل معها بفاعلية ووعى، كما تتطلب تلك المتغيرات مواطناً عصرياً لديه الحافظ والقدرة على التفكير الخلاق والإبداع، مع التأكيد على الذاتية الثقافية والهوية المصرية، وتأكيد قيم الولاء والانتماء للوطن.**

***كما أصبح من الضروري الحفاظ على الذاتية الثقافية والارتقاء بالفكر والسلوك الإنساني في المجتمع المصري، لمواجهة الغزو والهيمنة الثقافية التي تستهدف الأطفال وتفقده القدرة على الشعور بالاستقرار والأمان في جميع جوانب الحياة.***

***وفي جانب آخر فإنَّ الأمن الثقافي لدي الأطفال أصبح ضرورة لحماية الهوية الثقافية والتراث الحضاري، والقيم والعادات والتقاليد التي تمثل أهم الدعائم التي يقوم على أساسها المجتمع المصري، كما أنَّ الأمن الثقافي دعامة أساسية في تحقيق الأمن القومي العربي في ضوء التغيرات العالمية المعاصرة.***

**إن الثقافة العربية الأصيلة تتعرض لكثير من التأثيرات الثقافية الأجنبية الوافدة بسبب التقدم في وسائل الاتصال والإعلام في القرن الحادي والعشرين، وهذا التأثير الثقافي الوافد نجح في فرض قيمه وأساليبه وطرق تفكيره على ثقافة المجتمع العربي ، مما يُعرض الهوية الثقافية للتغير الجذري العميق، وهذا ما يُسمى بالغزو الثقافي أو التبعية الثقافية، فلابد من العمل على ضرورة تحقيق الأمن الثقافي لدي الأطفال للوقوف ضد المخططات التي تهدد الهوية الثقافية.**

***ويُعرف الأمن على أنه : حصيلة مجموعة من الإجراءات والتدابير التربوية والوقائية والعقابية، التي تتخذها السلطة لصيانته واستتبابه، انطلاقاً من المبادئ التي تدين بها الأمة ولا تتعارض أو تتناقض مع المقاصد والمصالح المعتبرة .***

***كما يرى "حامد عمار" أنَّ الأمن يمثل عنصراً من عناصر التنمية البشرية في منظورها الشامل، وأنه من الحاجات الأساسية لرفع مستوى المعيشة وتحسين نوعية الحياة والوقوف ضد أي هيمنة أياً كانت مصادرها الداخلية أو الخارجية .***

***وعلى هذا الأساس يدور استخدام المقالة الحالية لمفهوم الأمن على أنَّه: مجموعة من الإجراءات التربوية التي تحقق السلامة والطمأنينة والحماية والحرية والتنمية البشرية في المجتمع في ضوء المبادئ والقيم التي يدين بها المجتمع المصري، وبما يخدم ويحقق أهداف وغايات كل فرد من أفراد المجتمع.***

**أما *مفهوم الثقافة فيُشير إلي وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر تاريخه الطويل، الظاهر منها والمتضمن "العقلي واللا عقلي" التي توجد في وقت معين، والتي ترشد وتوجه سلوك الأفراد في المجتمع.***

**كما ورد في المعجم الوسيط "ثَقَفَ الشيئ" أي أقام المعوج منه وسواه و"ثُقِف" الإنسان أي أدبه وعلمه وهذبه، والثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب العلم بها والحذقُ فيها.**

**فالثقافة بذلك تعنى الإلمام بالعلوم والمعارف والفنون التي يتعلمها الفرد من المجتمع المحيط به. والثقافة تطلق على ما صنعه أي شعب أو أي أمة من نظم وحياة اجتماعية، وأدوات ومصنوعات وأفكار، أي التراث الاجتماعي الذي تراكم عبر الأجيال المتعاقبة والذي يعيش فيه هذا الشعب أو هذه الأمة.**

**وكما يرى تايلور: أن الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعرف، وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع.**

**كما يشير مفهوم الثقافة إلى مجمل التراث الاجتماعي الذي يتمثل في أسلوب حياة المجتمع، فكل شعب في الأرض له ثقافة بمعنى أن له أنماطاً معينة من السلوك والتنظيم الداخلي لحياته، وأسلوب التفكير والمعاملات التي اصطلحت عليها الجماعة في حياتها، والتي تناقلتا الأجيال المتعاقبة عن طريق الاتصال والتفاعل الاجتماعي.**

**ويدور استخدام المقالة الحالية لمفهوم الثقافة على أنها: ظاهرة اجتماعية مكتسبة وهي قابلة للانتشار والانتقال من جيل إلى آخر، فالثقافة هي الإطار الاجتماعي الذي يعيش الفرد فيه وينمو ويتطور من خلاله.**

***كما يدور استخدام المقالة الحالية لمفهوم الثقافة على أنها ظاهرة اجتماعية مكتسبة تختلف باختلاف الزمان والمكان واللغة، وهي قابلة للانتشار والانتقال والاستمرار حيث تنتقل من جيل إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر أيضاً، فالثقافة هي الإطار الاجتماعي الذي يعيش الفرد فيه وينمو ويتطور من خلاله.***

**أما الأمن : فيقال أمن أمناً وآمناً: أي اطمأن، ولم يخف، فهو آمن وأمن وأمين.**

**فالأمن بذلك هو الشعور بالرضا والاطمئنان وعدم الخوف.**

**والأمن يعنى التحرر من الخوف والإحساس والشعور بالأمن يمنح القدرة على مواجهة متطلبات حياته، وحماية طريقة وأسلوب هذه الحياة بصورة شاملة.**

**كما يشير مفهوم الأمن إلى أنه العمل على التحرير من التهديد والحفاظ على قدرة الدولة كحماية القيم المركزية بها والمتمثلة في الاستقلال،وحماية اقتصادها وهويتها الثقافية وتماسكها ضد قوى التغيير محلياً وعالمياً**

**ومن ثم فإن الأمن هو مجموعة من الإجراءات التربوية التي تحقق السلامة والطمأنينة والحماية والتنمية لكل أفراد المجتمع المصري.**

***كما أن هناك كثير من الآراء تنظر إلى الأمن الثقافي على أنه أحد جوانب الأمن القومي، بل وأهمها، فهو يتقدم على الأمن الاجتماعي والعسكري والسياسي والاقتصادي، فإذا تحقق الأمن الثقافي فإنه يمكن تحقيق الأمن والحماية في كثير من المجالات الأخرى ، والأمن الثقافي يُعد نوعاً من الأمن الذي يحقق الحفاظ على الذاتية الثقافية في مواجهة الهيمنة على الشخصية القومية، كذلك الحفاظ عليها من التيارات الثقافية المختلفة مع حماية جميع المؤسسات الثقافية من الانجراف مع الثقافات الأخرى .***

***كما يُعرف الأمن الثقافي على أنه: الشعور الذاتي بالانتماء القومي، والذي يخلق اطمئناناً للوجود لدى الأفراد المنتمين إلى أمة واحدة، فهو يُمَكن في المحافظة على الهوية والدفاع ضد من يحاول زعزعة ثقافة الأمة ، وهكذا فإن الأمن الثقافي لدي الأطفال في مصر يركز علي الحفاظ على الذاتية الثقافية وحمايتها وتأمينها من التيارات الفكرية المعاصرة التي تستهدف الأطفال المصري في دينه ولغته وقيمه وحضارته المصرية والعربية، حتى يتمكن من مقاومتها والتصدي لها بإيجابية وفاعلية في ظل تحديات عالمية معاصرة، ويُشكل ذلك قاعدة أساسية لتحمل المسئولية والمشاركة في تحقيق الأمن القومي والتقدم والتنمية للمجتمع المصري***

**ومن ثمَّ، فإن الاهتمام بتحقيق الأمن الثقافي لدي الأطفال بات ضرورة ملحة، نظراً للأخطار التي تهدد هوية المجتمع المصري والناجمة عن العولمة بكل أبعادها، والتقدم العلمي والتكنولوجي، حيث أصبح ذلك يمثل تهديداً قوياً للدين واللغة والقيم والعادات والتقاليد والتراث والعلاقات الاجتماعية وطرائق التفكير والإبداع، وغيرها مما يُهدد الهوية الثقافية للمجتمع، ويضعف شعور الفرد بالانتماء والولاء لوطنه، فكل ذلك يُزيد من أهمية الحاجة لتحقيق الأمن الثقافي لدي الأطفال لدى الأطفال في ظل التحولات السريعة والمتلاحقة في مختلف مجالات الحياة.**

**فالأمن الثقافي لدي الأطفال يُعنى الحفاظ على الهوية الثقافية في مواجهة محاولات الهيمنة على الثقافة والشخصية القومية، فضلاً عن حماية المؤسسات الثقافية في داخل المجتمع من التبعية والاختراق، الأمر الذي يجعل الأمن الثقافي لدي الأطفال طريقاً للمحافظة على العقل العربي من الاحتواء الخارجي ومن الغزو الداخلي**

**كما يشير مفهوم الأمن الثقافي لدي الأطفال إلى أنه نوع من أنواع الأمن حيث يمثل أهم الدعائم التي يقوم عليها المجتمع من عادات وتقاليد وقيم وغيرها، وقد أضيف هذا المفهوم حديثاً نتيجة التقدم والتطور اللغوي والمعرفي، وقد أشار علماء الفكر والاجتماع إلى أن هذا المفهوم يُعد وسيلة لتحديد السلوك أو أداة لمسايرة أساليب الحياة بهدف مسايرة التغيرات العالمية، وفي الوقت نفسه حماية الذاتية الثقافية الخاصة لأفراد المجتمع الواحد، وما تضمنته من قيم مادية ومعنوية،وهذه القيم هي التي توجه الإنسان وتقدم له معايير السلوك.**

**كما تناولت الخطة الشاملة للثقافة العربية الأمن الثقافي لدي الأطفال مصطلحاً ومضموناً، فأشارت إلى أنَّ الأمن الثقافي لدي الأطفال ليس مجرد تعبير لغوى سلبي، ولكنه مصطلح أو مفهوم مشتق من الأمان،ومن ضرورة الحفاظ على مستويات الثقافة في أبعادها ومجالاتها ومظاهرها لتتابع دورها القومى، ومضمونها الإنسان ، ومسئوليتها الحضارية في سياق المعاصرة وبالمشاركة الفعالة على المستويين القومي والعالمي**

**ويُقصد بالأمن الثقافي لدي الأطفال في المقالة الحالية: الحفاظ على الذاتية الثقافية وحمايتها وتأمينها من التيارات الفكرية المعاصرة التي تستهدف الطفل المصري في دينه ولغته وقيمه وحضارته المصرية والعربية، حتى يتمكن من مقاومتها والتصدي لها بإيجابية وفاعلية في ظل تحديات عالمية معاصرة، ويُشكل ذلك قاعدة أساسية لتحمل المسئولية والمشاركة في تحقيق الأمن القومي والتقدم والتنمية للمجتمع المصري.**

**وعليه فإن الأمن الثقافي لدي الأطفال من خلال المحافظة على الهوية الثقافية وتنميتها وتطويرها وتجديدها مع المحافظة على أصولها يعد ضرورة تربوية، "خاصة في عصر العولمة الذي أدى إلى تأثيرات ثقافية وتربوية أدت إلى اهتزاز المراكز التربوية وسقوط النماذج التربوية العربية نتيجة لقيم العولمة المكتسحة بثقافتها الهمجية الضاغطة على النظم التربوية العربية، وهذا ما يفرض على التربية العربية مراجعة فلسفتها ونظمها ومناهجها وتقنياتها للتعامل مع ضغوط العولمة الثقافية على الحقل التربوي".**

**فالهدف النهائي للعولمة الثقافية ليس خلق ثقافة عالمية واحدة، بل خلق عالم بلا حدود ثقافية، فهي تتضمن بلوغ البشر مرحلة الحرية الكاملة لانتقال الأفكار والمفاهيم والقيم والمعلومات على الصعيد العالمي، وبأقل قدر من القيود والعراقيل والضوابط، مما يؤثر على التربية ونظمها في الاحتفاظ بالهوية الثقافية في الألفة الثالثة.**

**فالعولمة الثقافية لابد من مواجهتها بكافة المؤسسات المجتمعية والتربوية للحفاظ على الأمن الثقافي لدي الأطفال لدى الأطفال في مصر، حتى لا يكون هذا الأطفال منـزوع الشخصية مخترقاً في دينه ولغته وحضارته، منحرفاً في اتجاه الجريمة والانحلال الأخلاقي، ولا سبيل إلى ذلك إلا من خلال التربية التي لها مهمة إعداد الفرد للتكيف مع متغيرات الواقع وتأهيله الفعال الإيجابي للتعامل مع مستجدات الحاضر والمستقبل في ظل تحديات تستهدف الهوية والجذور الحضارية والشخصية الثقافية،*ويتطلب ذلك الإعداد الجيد للطلاب ليكونوا قادرين على استيعاب الانفجار المعرفي، والتمكن من المعلومات والتكامل معها، وذلك باتفاق عمليات صناعة المعرفة، وتوليدها بسرعة وبدقة، حتى يكونوا قادرين على الحياة في عصر حضارة المعلومات ،* وهذا ما يُؤكد في بعض المؤتمرات والندوات والدراسات والبحوث من المفكرين والتربويين على النحو التالي.**

**حيث تشير دراسة "سعيد إسماعيل القاضي 2008م إلى ضرورة تفعيل دور كليات التربية من خلال مقرراتها ونشاطاتها وبرامجها الثقافية، بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني من أجل الحفاظ على الهوية الثقافية تحقيقاً للأمن الثقافي في المجتمع المصري، وذلك للوقوف ضد تحديات العولمة الثقافية وسلبياتها العديدة التي أحدثت تلوثاً ثقافياً وانحلالً خلقياً لدى الأطفال المصري، مع فقدان الثقة في الهوية والانتماء للوطن، علاوة على التشويه المتعمد للدين الإسلامي واللغة العربية والتراث والقيم في المجتمع المصري والعربي.**

**وأشارت دراسة "فاطمة الزهراء سالم محمود مصطفي 2007م إلى مدى إمكانية صياغة مفهوم جديد للهوية الثقافية في الفكر التربوي المصري المعاصر وذلك استناداً إلى فلسفة تربوية عربية خالصة تهتم بمعالجة قضايا المجتمع المصري والعربي من فساد أخلاقي وإرهاب وتبعية ثقافية وتسلط وجمود فكرى، وفهم مغلوط للدين، وذلك من خلال الاهتمام بالتنشئة السليمة للشباب والقدرة على العمل والإنجاز والإبداع والمشاركة في عملية التنمية والتجديد داخل المجتمع المصري، مع إيمان الفكر التربوي المصري المعاصر بضرورة الحوار الثقافي مع الآخر، وذلك حفاظاً على الهوية الثقافية لدى الأطفال المصري في ظل المتغيرات المعاصرة في بداية القرن الحادي والعشرين.**

**كما يشير "البيان الختامي للمؤتمر الإسلامي الخامس لوزارة الثقافة 2007م"إلى ضرورة مواصلة تجديد السياسات الثقافية للدول العربية والإسلامية في ضوء التحديات العالمية المعاصرة وذلك من خلال تعزيز بناء الذاتية الثقافية الإسلامية والعربية وحمايتها، وتمكين الحقوق الثقافية للجميع، وتحقيق الإنماء الثقافي لخدمة التنمية المستدامة، وتعزيز ونشر ثقافة السلام والحوار والاحترام المتبادل بين الثقافات، وذلك من أجل تحقيق الأمن الاجتماعي والثقافي والنمو الاقتصادي بالدول العربية والإسلامية في عصر العولمة.**

**ويرى "محسن خضر 2006م ضرورة استجابة التربية العربية لتحولات الهوية الثقافية في عصر العولمة وذلك من خلال تأسيس فلسفة جديدة للتربية العربية قادرة على الصمود ضد تهديد العولمة للهوية الثقافية، بالإضافة إلى تفعيل الموقف التربوي من خلال أدوار فعالة للمؤسسات التربوية المختلفة لمواجهة تأثير العولمة الثقافية، علاوة على تحرير وتشكيل العقل النقدي، وإيحاء التراث، وتنمية مشاعر الولاء الوطني وتعظيم الوعي التنموي، من أجل تدعيم تربية الهوية الثقافية والحفاظ عليها إزاء الضغوط المتراكبة للعولمة، وخاصة الثقافية منها.**

**كما يؤكد "حامد عمار 2004م أن التعقيد والغموض بلغ في ثقافة العولمة مستويات لم تعد كثير من مصادر المعرفة العلمية قادرة على فهم مجرياتها، وكان من نتاج ذلك ظهور التفكك في النسيج الاجتماعي والتربوي وشيوع البطالة والاغتراب الثقافي، بل والتنكير لقيم الثقافة الوطنية وتهديداً لمقومات المواطنة والانتماء، وهذا ما أدى إلى التبعية الاقتصادية والهيمنة الثقافية وتهديداً واضحاً للهوية الثقافية لدى الأطفال في المجتمع المصري.**

**ويشير "أحمد على كنعان 2004م إلى ضرورة مواجهة العولمة وتحديات القرن الحادي والعشرين من خلال المنظومة التربوية بأبعادها المختلفة، ذلك من أجل تأكيد الهوية العربية الحضارية الأصيلة، وتعزيز الانتماء القومي لأبناء الأمة العربية، وذلك من خلال ما يلي:**

**1-  رفض الهيمنة الثقافية الأجنبية، وتعزيز الهوية الثقافية العربية، وذلك بدعم اللغة العربية وتعزيز مكانتها بين لغات العالم.**

**2-  تطوير المناهج التعليمية مع إعداد المعلمين لمواجهة التحديات بمختلف أشكالها،مع غرس القيم العربية والروح الديمقراطية في نفوس الأطفال العربي وتجسيدها سلوكاً حقيقياً في حياتهم اليومية، تحقيقاً للأهداف السامية للتربية العربية.**

**3-   التسلح بمعطيات التكنولوجيا الحديثة والتقنيات التربوية المتطورة.**

**4-  التركيز على التربية المستقبلية، وإبراز الهوية الحضارية للأمة العربية تحقيقاً للأمن الثقافي والاستقرار والتنمية، باعتبارها مصدر إبداع وتفاعل مع الثقافات العالمية.**

**ويرى "عبد الودود مكروم 2004م أنه لكي يتم تحقيق الأمن التربوي في مصر لابد من الاهتمام بالحفاظ على الذاتية الثقافية لدى الأطفال في مصر، والقدرة على تفسير المشكلات المجتمعية المرتبطة بالقضايا الثقافية المحلية والعالمية، حتى يُمكن الأطفال المصري من استيعاب التيارات الفكرية المختلفة، ومواجهة التحديات المعاصرة للشخصية المصرية.**

**ويشير "كريم أبو حلاوة 2003م أن الأمن الثقافي لدي الأطفال من خلال المحافظة على الهوية الثقافية من لغة ودين وعادات وعلاقات اجتماعية يمثل البعد الثقافي الأساس في تحقيق الأمن القومي العربي في ظل التغيرات المعاصرة التي تعد من أخطر المهددات التي تواجه الثقافة العربية بشكل عام، وثقافة الأطفال بشكل خاص، ولعل أهم هذه التغيرات عولمة القيم والمعتقدات والأفكار الغربية وغيرها المدعومة بأحدث إنجازات ثورة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.**

**وأشارت دراسة "راشل موارى Rachel Murray 2003م" إلى أن الاهتمام بحقوق الإنسان ضرورة في عالم اليوم وخاصة لجماعات الأقليات الأفريقية،والأمن الثقافي لدي الأطفال مرتبط تحقيقه إلى حد كبير بحقوق الإنسان في إفريقيا، فيما يتعلق بعدم التفرقة العنصرية والحقوق الدينية والاقتصادية والبيئية وعدم التبعية السياسية للغرب، حتى يتم الحفاظ على الحياة الثقافية لهذه الأقليات.**

**ويؤكد "مصطفي رجب 2002م إنه من الضروري أن يكون للتعليم عامة وللجامعات خاصة فلسفة تربى الانتماء والمواطنة في نفوس الطلاب، وتخرج للمجتمع أجيالاً تؤمن بقضاياه الثقافية والفكرية، أجيالاً قادرة على النقد والعمل والإنتاج، أجيالاً لا تكون بضاعتها الكلام، وإنما تحمل هم مجتمعاتها فتعمر وتسهم بفاعلية في التطوير والتحسين وهو الطريق الأمثل للحفاظ على الهوية الثقافية وتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع.**

**وتأتى دراسة "أحمد حسين الصغير 2007م في نفس السياق السابق حيث توضح المقالة أن تحقيق الأمن الثقافي لدي الأطفال ضرورة تربوية وثقافية في ضوء التبعية والهيمنة الثقافية التي يُعانى منها المجتمع المصري، وانطلاقاً من أن الجماعة من أهم مؤسسات المجتمع التي يقع عليها عبء تحقيق التنمية الشاملة، ومن ثم تحقيق الأمن القومي العام بما فيه الأمن الثقافي لدي الأطفال، فيمكن أن تقوم بدور مستقبلي هام في تحقيق الأمن الثقافي لدي الأطفال من خلال الاهتمام بالبحث العلمي ومحو الأمية والتعليم المستمر وتنمية الوعي الثقافي لدى طلابها، وإيحاء وتحديد التراث الثقافي، مع تدريب الطلاب على المشاركة وممارسة الديمقراطية لتدعيم قيم المواطنة والانتماء، وذلك لمواجهة الاختراق الثقافي في كل مجالات الحياة.**

**كما تشير دراسة "أكزن هيو Xinhua 2004م إلى ضرورة تحقيق الأمن الثقافي لدي الأطفال في المجتمع وخاصة في البلدان النامية وذلك لمواجهة العولمة الاقتصادية والثقافة الغربية التي تنشر الفساد والانحلال الأخلاقي، وتحدث تغيرات في الهوية الثقافية في المجتمع، فلابد من حماية الثقافة وتحقيق الأمن الثقافي لدي الأطفال حتى يتم الحفاظ على العادات والقيم والنظام السياسي والاجتماعي لكل أمة.**

**واستناداً إلى ما سبق، فإن الأمن الثقافي لدي الأطفال ضرورة تربوية تفرضها العولمة الثقافية، الأمر الذي يتطلب إعادة النظر في أداء المنظومة التربوية في مصر، بحيث تصبح قادرة على تعميق الهوية الثقافية في نفوس الأطفال، وتحصنهم بالقيم والمهارات والأفكار والتي تساعدهم على أن يكون لهم دوراً فاعلاً في تغيير وتطوير مجتمعهم، ولا يكونوا مجرد مقلدين تابعين للغرب، يعيشون على زاده الثقافي دون إبداع أو ابتكار.**

**ولكي يتم تحقيق الأمن الثقافي لدي الأطفال لدى الأطفال في مصر، لابد من وجود متطلبات عديدة لإرساء القواعد الثقافية الضرورية التي تحقق الأمن الثقافي لدي الأطفال باعتباره حجر الأساس في تحقيق الأمن القومي العام في مصر، وعملية تحقيق هذه المتطلبات ليست قاصرة على المؤسسات التربوية النظامية فقط، بل أن هناك مؤسسات تربوية غير نظامية أكثر أهمية ومستقلة عن السلطات التعليمية، فتعمل بذلك على تنويع وإثراء مفاهيم ومتطلبات الأمن الثقافي لدي الأطفال لدى الأطفال في مصر بشكل أكثر وضوحاً وفاعلية بجانب المؤسسات النظامية الأخرى، وذلك تأسيساً على أهمية الشراكة المجتمعية في العملية التربوية في العصر الراهن.**

**تولد الإحساس بالمشكلة الحالية من خلال أن المؤسسات التربوية النظامية لم تعد مسئولة وحدها عن القيام بالتربية والإعداد المتكامل لأفراد المجتمع، وإنما شاركتها جهات ومؤسسات تربوية أخرى لا تقل أهمية عنها في صنع تنمية أفضل، وأكثر ملائمة في ضوء الواقع والتحديات المستقبلية.**

**حيث ضعفت مسئوليات المؤسسات التربوية النظامية وعجزت عن تقديم الخدمات التعليمية الفاعلة للمواطنين وبدأت الآراء تنادى بتحمل كافة التنظيمات الاجتماعية والمهنية في المجتمع المسئولية، وهكذا انتهي العصر الذي كانت فيه القضايا التربوية تخص مؤسسات تربوية بعينها، وازدادت شراكة التنظيمات الاجتماعية والمهنية في تدعيم القضايا التربوية التحرك لحل مشكلاتها.**

**كما نبعت المشكلة الحالية من خلال ما يعانى منه الأطفال المصري من أخطار تهدد كيانه ووجوده وأمنه الثقافي، وتبدو هذه الأخطار واضحة في كل مجالات الحياة، "فهناك أدلة تبين أن المجتمع المصري يمثل مسرحاً للفوضى القيمية حيث انتشر بين الأطفال الفساد والتسيب واللامبالاة وعدم الانضباط والفوضى الأخلاقية وعدم الالتزام الديني، وتهميش القيم الإيجابية وسيادة القيم المادية، وانتشار الأمية السياسية، وانشغال الناس بقضاياهم المعيشية اليومية، فضلاً عن زيف الديمقراطية وغياب الحرية وعدم احترام حقوق الإنسان والتبعية الثقافية والسياسية للغرب .**

**وفي الوقت الذي يعانى منه الأطفال في المجتمع المصري من تلك الأخطار والتي تعنى في مضمونها تهديداً للأمن الثقافي لدى الأطفال، ارتفعت الصيحات بضرورة مشاركة التربية وبخاصة مؤسساتها غير النظامية في مواجهة تلك التحديات الثقافية في ظل التطورات والتغيرات السريعة والمتلاحقة.**

**ومن ثم نورد أمثلة لبعض الدراسات والبحوث التي تؤكد أخطار الهيمنة الثقافية التي تهدد الأمن الثقافي لدي الأطفال في مصر من ناحية وضرورة مشاركة المؤسسات التربوية غير النظامية من ناحية أخرى في مواجهة تلك الهيمنة والغزو الثقافي، ومن أمثلة هذه الدراسات والبحوث:**

**نتائج دراسة " هويدا عدلي 2007م التي توصلت إلى أن الأطفال يعانى من العديد من التأثيرات السلبية للعولمة الثقافية حيث تمد هذه التأثيرات إلى قيم الأسرة والتعليم والعمل والموقف من التراث وعمليات التعاون والصراع والاستقلال والامتثال والإبداع، مما أدى إلى عجز الهوية الثقافية في كثير من الأحيان عن مواكبة التغيرات العالمية الناتجة عن العولمة والتكنولوجيا الحديثة، ولكي نتغلب على هذه الأزمة التي تمر بها الهوية الثقافية لدى الأطفال من خلال المحافظة عليها داخل المؤسسات الاجتماعية داخل الدولة والدفاع عنها ضد الاختراق الثقافي، لأنها تمنح المواطنين مشاعر الأمن والاستقرار داخل المجتمع.**

**نتائج دراسة "مصطفي كوك Koc, Mustafa 2006م" التي أشارت إلى الأزمة التي تُعانى منها الهوية الثقافية لدى الأطفال بسبب التغيرات العالمية المعاصرة والمتمثلة في تيارات العولمة الخاصة بالأفكار الغربية والممارسات الثقافية والمعلوماتية التي تنتقل عبر وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة، كما أوصت المقالة بضرورة مشاركة التربية ومؤسساتها النظامية وغير النظامية في الحفاظ على الثقافة في عصر التكنولوجيا والعولمة.**

**نتائج دراسة "أحمد مجدي حجازي 2005م" التي أشارت إلى خطورة الآثار الاجتماعية السلبية الناجمة عن التدفق المعلوماتي عبر الشبكة الدولية للمعلومات، والذي أدى إلى تغيير المنظومة القيمية الإيجابية الأصيلة في المجتمع، مما يشكل هدراً لإمكانات البشر وزيادة العنف والتطرف والإدمان والخلل الأخلاقي، وضياع الأصلة والهوية الوطنية، كما أوصت المقالة: بأننا في حاجة إلى الاهتمام بالأمن الثقافي لدي الأطفال لدى الأطفال، لأنه من ركائز الأمن القومي لمجتمعنا، وهذا لن يتأتى إلا من خلال رفع الوعي الثقافي لدى الأطفال من قبل المؤسسات التربوية والمجتمعية لمواجهة الاختراق الثقافي والحفاظ على مقومات الثقافة وبناء الحضارة الأصلية لمجتمعنا في عصر العولمة والمعلوماتية.**

**نتائج دراسة "محمد إسماعيل زاهر 2004م التي أشارت إلى مدى الأزمة التي يُعانى منها المثقف العربي والمصري على مدار التاريخ من الحملة الفرنسية إلى الحملة الأمريكية على العراق، والتي أدت إلى تراجع هويتنا الثقافية المصرية والعربية، وظهور العديد من التيارات الفكرية والدينية داخل المجتمع المصري العربي، فكل ذلك أدى إلى تهديد الأمن الثقافي لدي الأطفال المصري والعربى في الحاضر والمستقبل، فلابد من مشاركة كافة التنظيمات الاجتماعية في الحفاظ على تلك الهوية.**

**نتائج دراسة "بهيج نصار 2004م" التي أشارت إلى ضرورة تعميق مفهوم الديمقراطية كمطلب سياسي في تحقيق الأمن الثقافي لدي الأطفال لدى الأطفال المصري، وذلك حتى تتمكن الطبقة العاملة من ممارسة ديمقراطيتها والمشاركة في العديد من القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الهامة، وذلك من خلال الاهتمام بالمؤسسات المجتمعية كالأحزاب السياسية والجمعيات الأهلية وغيرها، لكي تساعد على ترسيخ هذا المفهوم في ضوء الثورة العلمية والتكنولوجية التي تشهدها مصر.**

**نتائج دراسة "موسى على الشرقاوي 2004م والتي توصلت إلى انخفاض مستوى الهوية الثقافية لدى الطلاب في الجامعة وما لحق بتلك الهوية من ضعف وخلل نتيجة تداعيات العولمة، وأوصت المقالة بالاهتمام بكليات التربية كمؤسسات تربوية تعليمية، مع مشاركة مؤسسات المجتمع المدني في إنماء الهوية الثقافية وتأكيدها لدى الأطفال المصري.**

**نتائج دراسة "هدى عمر عبد العظيم محمد 2004م التي أشارت إلى ضعف الانتماء الاجتماعي الذي يهدد استقرار المجتمع والأمن القومي العام بسبب ارتفاع معدلات وقوع أحداث العنف والجرائم والانحراف الأخلاقي، ومن ثم افتقاد المجتمع لأمنه الثقافي لعجز القيم والمعايير عن ضبط السلوك الإنساني في إطاره، وتأثيره على الأمن الاجتماعي وتأثر الأمن القومي العام، كما أوصت المقالة بضرورة مواجهة تلك المتغيرات الثقافية والاجتماعية التي أصابت المجتمع المصري من خلال المؤسسات المجتمعية التي تنمى الوعي لدى الأطفال، وتسهم بصورة أساسية في بناء الثقافة والقيم والولاء والانتماء للوطن في القرن الحادي والعشرين.**

**نتائج دراسة "محمد الأصمعي محروس سليم 2003م التي أشارت إلى ضرورة تفعيل الشراكة بين التنظيمات الاجتماعية والمهنية (كالأحزاب السياسية والجمعيات الأهلية والنقابات المهنية) لتوفير الإسهامات الضرورية من أجل تدعيم التنمية السياسية والثقافية والاقتصادية لدى أفراد المجتمع المصري في ظل التحديات العالمية المعاصرة، والتي عجزت المؤسسات النظامية عن القيام بذلك.**

**نتائج دراسة "ماهر عبد العال الضبع 2003م التي توصلت إلى قصور وضعف دور الجامعة في تشكيل الهوية الثقافية لدى طلابها مما يؤثر بشكل سلبي على أمننا القومي في ضوء النظام العالمي الجديد، كما أوصت المقالة بتفعيل دور الجامعة ومؤسسات المجتمع في حماية الهوية الثقافية وتحقيق الأمن الثقافي لدي الأطفال وإعداد الطلاب وإكسابهم القيم الثقافية الأصلية والقيم العلمية التي تنمى قدراتهم وتُزيد من إبداعاتهم وتُحسن من أدائهم، فيصبحوا أكثر قدرة على العطاء والتجديد والمنافسة وأقل انقياداً للآخرين في ذلك للصمود أمام ثقافة العولمة.**

**نتائج دراسة "لارسون- Larson 2002م التي توصلت إلى بعض العوامل التي أحدث تغيرات سريعة لها آثاراً سلبية في شخصية الأطفال، وتتمثل في عولمة الاقتصاد والثقافة والتقدم الهائل في ثورة تكنولوجيا المعلومات، فهذه العوامل تمثل تحديات يواجهها الأطفال في المجتمع. وقد خرجت المقالة ببعض التصورات المستقبلية الخاصة بدور مؤسسات المجتمع المدني في مساعدة الأطفال على اكتشاف قدراتهم واهتماماتهم، وتكوين العلاقات الاجتماعية، مع توجيههم إلى المهنة المناسبة لسوق العمل، وغيرها من المهارات الضرورية للحياة المجتمعية للتغلب على التغيرات المعاصرة.**

**نتائج دراسة "شيلنك Schlink 2000م التي أشارت إلى اتجاهات المجتمع المعاصر نحو تحقيق حاجات الأطفال التربوية، فقد كشفت نتائجها عن أن هناك قصوراً من قبل الأسرة والمدرسة والمجتمع نحو تعليم وتثقيف الأطفال، مما يتطلب إعداد برامج ثقافية وإثرائية من مؤسسات المجتمع المدى مثل المشاركة في المعسكرات والمخيمات التي تمنح الأطفال فرصاً لممارسة مهارات الحياة العامة مثل القيادة والاتصال والنمو المهني والمهارات التكنولوجية وغيرها من المهارات الضرورية للحياة المجتمعية، وذلك لمواجهة تحديات العولمة الثقافية في النظام العالمي الجديد.**

**نتائج دراسة "محمد عبد الجابري 1997م والتي أشارت إلى أهمية التربية ومؤسسات غير النظامية في الإصلاح التربوي حتى يتم استيعاب التحولات المجتمعية المعاصرة التي يشهدها الوطن العربي، وذلك من أجل الحفاظ على الأمن الثقافي لدي الأطفال والاجتماعي لكل بلد عربي في الحاضر والمستقبل، والوقوف ضد أى كيان يهدد أمننا القومي وهويتنا الحضارية والثقافية.**

**فمن خلال معظم النتائج التي توصلت إليها الدراسات والبحوث السابقة، يمكن الكشف عن حقيقة هامة وهي الحاجة إلى تحقيق الأمن الثقافي لدي الأطفال لدى الأطفال، حتى يتضمن حماية الهوية الثقافية من أخطار الهيمنة الغربية التي تحمل قيماً وتوجهات مغايرة لقيم المجتمع الثقافية، كما يساعد الأطفال على المشاركة الإيجابية في صنع المستقبل، باعتباره أحد أهم أبعاد الأمن القومي في الوقت الراهن.**

**كما أنَّ الأمن الثقافي لدي الأطفال ومتطلباته لأساسية لدى الأطفال في مصر ليست ممثلة بالقدر الكافي من خلال المؤسسات التربوية النظامية، وأنها بحاجة إلى تدعيم من المؤسسات التربوية غير النظامية في المجتمع المصري. نظراً لأهمية دورها في التنمية والمشاركة في ترسيخ مفهوم الأمن الثقافي لدي الأطفال ومتطلباته لدى الأطفال في مصر، الأمر الذي يُظهر الحاجة إلى إجراء المقالة الحالية، حيث أن تبنى مفهوم الأمن الثقافي لدي الأطفال ومتطلباته من خلال المؤسسات التربوية غير النظامية يعظم من دورها في الوقت الحالي في نشر الرسالة الحضارية والثقافية لتحقيق التنمية والتقدم في المجتمع المصري الذي يتجه نحو ترسيخ الديمقراطية سياسياً وتدعيم القيم المتنوعة في مسيرته نحو الاقتصاد الحر المتفتح على العالم.**

***أهم عوامل تهديد الأمن الثقافي لدى الأطفال:***

**/ العولمة :**

**العولمة بالمفهوم الذي تم طرحه في القسم الأول من هذه المقالة يعني بالأساس أربعة أمور : أولها تفكيك الدولة القومية ككيان سياسي ، وثانيها تمييع وتذويب مفاهيم الوظيفة الاجتماعية للدولة ، وثالثها إعادة صياغة العلاقة بين رأس المال والدولة ، وأخيراً إحداث تغيير شامل في مفاهيم الليبرالية الجديدة .**

**والمتأقلم للمفاهيم التي عرضناها "للعولمة" يجد أنها سوف تفقد الدول العربية الإسلامية سيادتها وهويتها ، وتدمجها فيما يسمى بالقرية العالمية ، أو الكوكبية وقد يؤدي ذلك إلى طمس الهوية الثقافية ، وخصوصاً أننا في الوقت الحاضر غير مؤهلين تربوياً لمجابهة الآثار المترتبة على انتشار مفهوم "العولمة" ، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن – وهو سؤال قديم – هل سنغلق على أنفسنا الباب في وجه أية ثقافات وافدة إلينا ؟ أم سنحاول التكيف مع هذه الثقافات ؟ أم نستسلم ونسلم لها ونتبعها بشكل مطلق؟**

**ولمواجهة هذا التحدي وللإجابة على التساؤل المطروح ، ينبغي على القائمين على النظام التربوي العربي أن يضعوا في اعتبارهم عند إعداد السياسة التربوية المستقبلية الأمور التالية:-**

1. **الإعداد التربوي للمواطن العربي المسلم من خلال النظر في البُعد المستقبلي للتعليم وذلك عن طريق بناء إستراتيجية تربوية عربية تسمح بالتفاعل ا لحقيقي مع "العولمة" .**
2. **إعداد الفرد العربي المسلم القادر على إدراك أن مخاطر "العولمة" على الهوية الثقافية لا يمكن القضاء عليها عن طريق الانغلاق على الذات ورفض الآخر ، وإنما يتأتي بإعادة الموروث القديم المكون الرئيسي للثقافة الوطنية بحيث تزال معوقاته وتستنفر عوامل تقدمه وكلا العنصرين موجود في الثقافة .**
3. **تربية الفرد العربي المسلم على عدم الانبهار بالغرب ومقاومة قوة جذبه وذلك برده إلى حدوده الطبيعية في محاولة القضاء على أسطورة الثقافة العالمية .**

**2/ التكنولوجيا والتقنية :**

**أن عالم اليوم وعالم الغد هو عالم التكنولوجيا المتقدمة ، وأصبحت الدليل على امتلاك مقومات القوة سواء في السلم أو في الحرب وتدعم هيمنة القوى على الضعيف في**

**جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية .. إن عالم التكنولوجيا الذي نعيشه الآن عالم سريع التغير والتطور ، وهو ليس بمعزل ثقافة المجتمعات التي تصدره ، وبالتالي يترك تأثيره في ثقافة المجتمعات التي تستورده .**

**وفي ضوء هذا فإن المجتمعات العربية الإسلامية تواجه تحدي التطور التكنولوجي والتقني المستمر ، ويتمثل هذا التحدي في كيفية اختيار التكنولوجيا التي تخدم هويتها الثقافية ولا تتعارض مع قيم وثوابت هذه المجتمعات التي تستمد جذورها من مصادر التشريع الإسلامي الحنيف ، والقيم العربية الأصيلة ، ويمكن تقديم التكنولوجيا الحديثة لأجيال هذه الأمة في المناهج المدرسية مع المحافظة على الهوية باستخدام التقنيات التي تناسب أوضاعنا لنبدع فيها ، كما أبدعت أمم أخرى كاليابان مع محافظتها على هويتها الثقافية.**

**وليكن معلوم أن المجتمعات العربية والإسلامية يجب أن تدرك أ، التطور الحضاري وإثبات الهوية والذاتية الثقافية لا يتوقف على مجرد متابعة التكنولوجيا والتقنية ونقلها من الغرب ، وإنما لا بد أن تضع في خططها التربوية والتعليمية الاستراتيجيات التي تؤهلها لتلحق بركب التطور والتقدم ، لكلي تنتقل من مجرد المتلقي إلى المبدع والمنتج لهذه التكنولوجيا ، وأن على هذه المجتمعات أن تستفيد ما أمكن من الثورة التكنولوجية والتقنية في مؤسساتها التربوية والتعليمية ، سواء في اختيار وتخطيط وبناء المناهج الدراسية ومحتواها ، وأساليبها أو في طرق التقويم والاختبارات وغيرهما من العمليات داخل المنظومة التعليمية .**

**3/ وسائل الإعلام :**

**وهي تمثل الضلع الثالث لمثلث التحديات والأخطار التي تهدد ا لهوية العربية الإسلامية إذا لم يتم العامل معها بوعي ، وإعادة تشكيلها "وترويضها" بما يخدم مصالح وأهداف هذا المجتمع .. ووسائل الإعلام بالشكل والكيفية القائمة عليها الآن تشكل – بلا شك – خطراً جسيماً على الهوية الثقافية للعرب والمسلمين من خلال ما يسمى "بالقوة الناعمة" (الإعلام العالمي) – الخاضع تماماً للسيطرة الصهيونية والتي تحاول من خلال هذه القوة فرض مفهوم "العولمة" على الآخرين .**

**من خلال وسائل الإعلام المختلفة (صحافة ، إذاعة ، تلفزيون ، إنترنت وغيرها) – تسعى الدول الغربية إلى الهيمنة على الهوية الثقافية العربية والإسلامية من خلال محاولات عولمة الحياة والثقافة عموماً ، عن طريق تركيز وسائط الإعلام على ما تشاء من القيم ، وإهمالها لما تشاء ، وبالتالي سعيها لفرض ثقافة بذاتها ، وهذا ما يجري بوعي من قبل من يملك هذه الوسائط ، وبدون وعي من قبل المستفيد(38).**

**ومن الأخطار التي نتجت عن وسائل الإعلام أنها ساهمت في تفشي ظاهرة الضعف اللغوي للغة العربية ، حيث أن هذه اللغة هي أحد المقومات الأساسية للهوية الثقافية الإسلامية ، فبالإضافة إلى بثها لمادة علمية وثقافية ضحلة في بعض الأحيان ، نجدها أحياناً كثيرة تساهم في نشر اللهجات العامية ، حتى البرامج الإذاعية والتلفزيونية نجد أن بعضها يحمل أسماء أجنبية ، والبعض الآخر يحمل أسماء نصفها عربي والنصف الآخر أجنبي أما البرامج التي تقدم باللغة العربة الفصحى فإن أغلبها يقدم للجمهور بطريقة منفرة بعيدة عن هموم الناس ونبض حياتهم اليومية (39).**

**ثانياً : التحديات الداخلية :**

**هناك مجموعة من التحديات الداخلية التي تهدد جانب الهوية العربية وذلك في ظل التغير السياسي والاقتصادي على وجه الخصوص في المنطقة العربية – لاسيما منطقة الخليج العربي – كان منطقياً أن تتغير معه الأوضاع الاجتماعية ، وقد نتج عن هذا التغير مجموعة من التحولات ، مثل الاعتماد على العمالة الأجنبية ، والتغيرات التي أصابت الأسرة العربية نتيجة عمل المرأة ، وترك مهمة التربية والتوجيه للأبناء للخدم والمربيات(40) . ولا شك أن ذلك وغيرها من التغيرات الاجتماعية قد ترك آثاره على الهوية الثقافية للنشء سواء من خلال اللغة أو القيم والاتجاهات الفكرية .**

**فلو أخذنا تأثير المربية الأجنبية – كمثال- على هوية النشء ، فق أثبتت العديد من الدراسات ، أن تأثيرها يكون كبيراً وعميقاً حتى أنه يمتد ليشمل تغير اللسان العربي والفكر العربي وهما من ركائز وأساسيات الشخصية العربية ، وكذلك شيوع بعض الألفاظ والمرادفات الأجنبية ضمن اللغة العربية ، مثل (مافي – سيم سيم – سيدا .. وغيرها) . حيث صارت مثل هذه الألفاظ والكلمات وكأنها جزء من تراثنا اللغوي ، كما أن استخدام المربية الأجنبية لرعاية الأبناء قد يؤدي إلى إحداث اتجاهات سلبية لهم تتسم بالإهمال واللامبالاة ، وعدم التعامل معهم إلا بالعنف والسيطرة ، وفي هذه الحالة يفقد الطفل توازنه النفسي ويجعله يشعر بالضياع . وقد يتعرض في نهاية الأمر إلى عملية "المحو الثقافي" وهي عملية تحدث نتيجة تخلص الطفل لثقافته ليحل محلها ثقافية المريبة.**

**ولذلك فإنه يجب على المجتمعات العربية من خلال كافة المؤسسات ، ومن بينها المؤسسة التعليمية مواجهة هذا التحدي بالتأكيد على الثوابت المجتمعية وعدم التفريط فيها ، والتكيف مع التطورات الاجتماعية الجديدة ، وذلك بما لا يتعارض مع قيم وثوابت المجمع الأصيلة .**